سفر التكوين بين الروحية والمادية
(سيرة إبراهيم النبى نموذجا)

د. محمود محمد المهدي*

تمهيد

لا يمكن فهم أي شخصية روحية في أي عقيدة أو حضارة دون تأصيلها لمعرفة حقيقتها، فالإلهام الروحيّ للإنسان حول شخصية يبجلها هو إلهام تضامنيّ تحمله ذاكرته وتقدسه في أُطُر روحية وتاريخية، ولهذا "لن تصبح الشخصيات قابلة للفهم، إلا إن نُظر إليها باعتبارها أدوات للنشاط الروحانيّ"[1].

إن الشخصية التوراتية، وتحديدا شخصية (إبراهيم)[2] ، تعد ذات تأثير لا يستهان به في الذاكرة اليهودية التي تستنطق ماضيها المدون في النص التوراتيّ المتحدّث عن مثل هذه الشخصية وغيرها من الشخصيات المقدسة في الفكر الدينيّ اليهوديّ، وربما نجد نوعا من الاتحاد بين الذاكرة اليهودية وهذه الشخصيات، من خلال ما يمارسه اليهوديّ من عملية (ربط واستحضار) لشخصيات نصه الدينيّ في الواقع المعاش، وهذا يأخذ في كثير من الأحيان مناحي عدة : منها ما هو طقوسي متمثل في الأعياد الدينية ورمزيتها،[3] ومنها ما هو اجتماعيّ متمثل في العيش داخل أحياء خاصة باليهود (الغيتو)، ومنها ما هو سياسيّ متمثل في ضرورة امتلاك أرض فلسطين.

وعند قراءة طبيعة الذاكرة اليهودية نجدها مرتبطة بالمكان ومعالمه، أي : أنها ذاكرة مكانية أكثر من كونها ذاكرة روحية أو روحانية، ولاسيما مع استحضارها لشخصية (إبراهيم) ، الذي اهتم النص الدينيّ بتنقلاته المكانية بشكل مفصل أكثر من كونه شخصية روحية، وكانت غاية المُدَوّن التوراتيّ زرع إشارات ورموز داخل النص مرتبطة بالمكان و الذات الإلهية والاصطفاء، ونزع إشارات ورموز، بحيث عَمِل مُدَوّن هذا النص على تغيير هوية المكان، وإن لم يستطع بشكل كلي،

---

* أستاذ مقارنة الأديان بقسم الفلسفة كلية الآداب جامعة بنغازي

[1]- نظمي، عزيز: **جدلية التاريخ والحضارة**، الإسكندرية : مؤسسة الشباب الجامعية ، ط1، 1996، ص10

[2] - سأطلق عليه اسم إبراهيم التكويني نسبة لسفر التكوين المتحدث عن سيرته

[3]- انظر لمعرفة طبيعة الربط والاستحضار أسمن، يان: **الذاكرة الحضارية**، القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة،ط1 ،2003 ،[ترجمة وتعليق عبد الحليم عبد الغني رجب] ص 91

ولهذا لن نكون تقليديين في تأصيل شخصية إبراهيم التكوينيّ من خلال ذكر نسبه العِرقيّ وتفاصيله، ولكن سيكون تأصيلنا له تأصيلا مفاهيميا، وهذا ما ذهب إليه (محمد البار) قائلا: "لن ندخل في التناقضات الكثيرة من حيث نسب إبراهيم وأعمار آبائه وأجداده، فهي كلها تدخل ضمن التخمينات التي تتناقض فيما بينها"[1].

معالم إبراهيم التكوينيّ:

سنعمل على بيان معالم هذا الأب التكوينيّ، وإبرازها وذكر شواهدها الروحية والروحانية والمكانية، ويجب أن ننبه إلى أننا لا نزعم بوجود أكثر من (إبراهيم) في هذا الطرح كما زعم (كمال صليبي)[2] وغيره من الباحثين، ولا بد أن نقبل منذ البداية بأن هناك تصورات قد دخلت على سيرة (إبراهيم) أبي الأنبياء في المعتقد التوراتيّ، لأنها كتبت بعد حياته بقرون طويلة[3]، ولم تكن تحفظ في كتاب مقدس، فحدث لها ما حدث من تحوير أسهم في استبدال المعالم الروحية لهذا الأب.

إن أعمال(إبراهيم) الإصلاحية في الجانب العقدي التي نبذ من خلالها عبادة قومه، لا نجد لها موضعاً في سفر التكوين، ولا في العهد القديم، وكما قال (رينهارد لاوت) بأن أعمال (إبراهيم) "مقارنة بغيرها، وبصفة عامة لم تفهم ولم تقدر كما تستحق"[4]، وهو يقصد بذلك في العهد القديم، وقد علل ذلك بإشارة إلى أعمال (موسى) التي أبهرت اليهود فحجبت عنهم أعمال (إبراهيم).

وعندما نؤصل لهذه الشخصية توراتيا نصطدم ضرورة بثقافة المكان في هذا المعتقد، حيث كانت تنقلات هذا الأب من مكان إلى آخر واضحة، لاسيما فوق سلسلة جبال فلسطين الممتدة من سوريا إلى شكيم وأورشليم وبئر السبع وغيرها[5]، ومن ثَمّ فشخصية (إبراهيم) المتنقلة قد تركت أثرها في المكان وصار زاخراً بالمعاني ومفعما بالذكريات، التي صارت فيما بعد يهودية.

إن الذاكرة التوراتية قد سلكت مسلكين، **مسلك تهويد إبراهيم ، ومسلكاً جعل من وجوده وجودا دنيويا بمعنى غَيّبَتْ عنه روحانيته**، فالأفكار التوراتية ذات العلاقة بإبراهيم والمكان قد اتخذت حيزا في الذاكرة اليهودية، وهنا حدث اندماج وثيق بين المفهوم والصورة، وهذا ما يعرف **بسمطقة**

---

[1]- البار، محمد علي: **الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم**، دمشق : دار القلم، بيروت : الدار الشامية، ط1، 1990، ص73، وللمزيد انظر : عناية ، عز الدين : **الاستهواد العربيّ في مقاربة التراث العبريّ**،كولونيا : منشورات الجمل، ط1 ،2006 ، ص 176

[2]- انظر : صليبي، كمال : **خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل**، دمشق: دار الساقي، 1988، ص 91

[3]- انظر في ذلك : لاوت، رينهارد: **إبراهيم وأبناء عهده مع الله** ، دمشق :خطوات للنشر والتوزيع، ط1، 2006، ص 97

4- المرجع نفسه، ص 98

[5]- انظر : نفسه، ص 12

المكان[1] عندما تم تغذية المكان العاديّ الطبيعيّ بإشارات و رموز معينة "وقال الرب لإبرام : اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة"[2].

وفق هذا النص تبرز أمامنا شخصية (إبراهيم) المكانية والعرقية، وكأنه لا يكتمل وجوده إلا في الأرض الجديدة ذات الوعد الإلهي، **فإبراهيم في الفكر التوراتي هو والمكان شيء واحد**، وهذا الأمر يجب ألا يغيب عن ذهننا ، فهما يحملان القداسة نفسها، ومنطلق ذلك حرص المدون التوراتيّ على إعطاء إبراهيم والمكان معاني ارتباطية ، كأن إبراهيم لم يُعرف إلا من خلال المكان ، وكذلك المكان لم يعرف إلا من خلاله، فإذا أردنا تحديد التصور التوراتيّ له بشكل دقيق، نجده لا يخرج عن كونه تصوراً (**جسدياً، عرقياً، مكانيا**)، وهذا التصور جعل حضوره في الذاكرة اليهودية حضوراً (جسدياً مكانياً) و(جسدياً عرقياً)، وهو يختلف عن الحضور الجسدي الروحي الذي يغيب في النص التوراتيّ المتحدث عن هذا الأب ، وهذا التصور يربطنا بذاكرة المدون المتأثرة بالسبي البابليّ(538/586 ق.م)[3]؛ لاهتمامه بالمكان وجغرافيته وحرصه على بيان المواقع بشيء من التفصيل[4]،وهذا يترتب عليه:

أولا: **طمس** الصلة الروحية بين (إبراهيم) وأصحاب المكان الأصليين، نظرا لغياب الدعوة التوحيدية.

ثانيا: **ترسيخ** الصلة المكانية بين (إبراهيم) ويهود السبي، وهذا يتطلب إخلاء المكان عن طريق الشراء أو الطرد أو السحق.

كما إن طبيعة الحضور الجسديّ المكانيّ، وكذلك العرقيّ تختلف عن طبيعة الحضور الجسديّ الروحيّ؛ لكونها تنفي عن (إبراهيم) الروحانية، وتضعه في الحضور النفعيّ الماديّ، و يجب ألا ننسى أن إبراهيم بشرٌ، وهذا يعني كونه جسداً يشغل مكانا وزمانا ، ولكن بشريته هذه يجب ألا تفهم بالمنظور التوراتيّ الذي جعل منه جسداً مكانيا يخلو من الروح الإيمانية والعلاقة الصافية مع السماء، فالجسد الإنسانيّ بالروح الإيمانية يكون جسدا إنسانياً بمعنى الكلمة،

---

[1]- "القضية التي يبحث فيها هذا الفرع من علم السيميوطيقا هي : كيف تتم قراءة المكان، وكيف يتم تفسيره من قبل أصحاب الحضارة الواحدة، وما هي المعاني الحضارية التي يتم غرسها في المكان، والتي تؤدي إلى ارتقاء المكان من محيط جغرافيّ فيزيائيّ إلى معنى حضاريّ رمزيّ يتصل بمسائل مثل الهوية والذاكرة الحضارية وصور استدعاء واستحضار الماضي". أسمن، يان، **الذاكرة الحضارية**، ص 102.

[2]- سفر الخروج: الإصحاح الثاني عشر، 1-2

[3] - هو السبي الذي ساق فيه الملك البابليّ (بنوخذنصر) سكان مملكة يهوذا أسرى إلى بابل.

[4]- انظر سفر التكوين: الإصحاح الثاني عشر، 6-9 ، وكذلك الإصحاح الثالث عشر، 3- 18

فـي حـين أن الجسـد المكـانيّ نقصـد بـه خلـوه مـن هـذه الـروح ،ويكـون حضـوره دائمـا من أجل الحياة فقط، وهذا نجده في موقفه مع فرعون مصر وملك جرار عندما تخلى عن زوجته لهما في موقفين متشابهين.

الموقف الأول:

"وحدث جوع في الأرض، فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك، لأن الجوع في الأرض كان شديدا. وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته: إني علمت أنك امرأة حسنة المنظر. فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون: هذه امرأته. فيقتلونني ويستبقونك، قولي إنك أختي، ليكون لي خير بسببك و تحيا نفسي من أجلك(...) فأُخذت المرأة إلى بيت فرعون، فصنع إلى أبرام خيرا بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأُتُن وجمال "[1]

الموقف الثاني:

" وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب، وسكن بين قادش، وشور، وتغرب في جرار وقال إبراهيم عن سارة امرأته هي أختي... فيقتلونني لأجل امرأتي (...) وحدث لما أتاهني الله من بيت أبي أني قلت لها: هذا معروفك الذي تصنعين إليّ: في كل مكان نأتي إليه قولي عني: هو أخي(...) فأخذ أبيمالك غنما وبقرا وعبيدا وإماء وأعطاها لإبراهيم ورد إليه سارة امرأته"[2].

في هذين الموقفين وضح المدون حقيقة النسق النفعيّ الدنيويّ داخل بنية النص التوراتيّ، النجاة من الموت، والرغبة في الحصول على الخير، حيث كانت نهايتهما حصول (إبراهيم التكويني) على غنم وبقر وعبيد وإماء.

إن التصور التوراتيّ المعطى لهذه الشخصية يتنافى مع كونه نموذجاً إنسانياً، فما كان اختياره إلا من أجل الأرض والنسل و "تبعا للتقاليد فإنه هو الذي اختير من قبل الرب ليصبح جد الشعب الإسرائيليّ وليأخذ ملك كنعان"[3] وهذا يبين أن من كتب سيرته التوراتية كان مدفوعا سياسيا لعمل هذه السيرة، وبهذه الكيفية الجدلية المرتبطة بالمكان وجغرافيته أكثر من أي ارتباط أخر.

---

[1] - سفر التكوين : الإصحاح الثاني عشر ، 10 -16

[2] - سفر التكوين : الإصحاح العشرون، 1- 14

[3]-إلياد ،ميرسيا: **تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية**، دمشق : دار دمشق للطباعة والنشر، ط1، 1986، الجزء الأول، [ترجمة عبد الهادي عباس] ، ص 203.

و يتحدث (كمال صليبي) عن اسم (إبراهيم) في طرح عربيّ جديد وفريد من نوعه، لتوضيح أصول هذه الشخصية التوراتية، وقال بأنها يختلف بعضها عن بعض في سياق النص السارد لها، و يحاول ربطها من خلال الاسم بجزيرة العرب، وهو في هذا ينفي علاقة إبراهيم بأرض كنعان من خلال المسميات المكانية للمدن والقرى.

كما يحدد (كمال صليبي) إبراهيم في طرحه بكونه يمثل شخصيتين شخصية (إبرام العبرانيّ) وشخصية (إبرام الآرامي)، ويبين أنه ليس هناك أي صلة ارتباطية بين الاثنين[1]؛ بل إنه يصل به إلى خمسة إبراهمات التي يصفها (عز الدين عناية)، **" ببدعة التعدد التي لم تزد المسألة إلا إبهاماً دون إرساء حل"**[2]، فما نريد قوله وبيانه هنا أن (إبراهيم التكوينيّ) شخصية إشكالية تحتاج إلى تحرٍّ ودقة في البحث، وإن بُحث قديما وحديثا، فهذا لا يمنع من بحثه وفق رؤية ننشد أن تكون ذات استقلالية وحياد عن أي تيار أو تقليدٍ عَمِل في ظله جُلّ الباحثين العرب والمسلمين[3].

ونحن نختص هنا بدراسة ارتباط (إبراهيم التكوينيّ) بالاسم بجوار ارتباطه بالمكان، ولا نقصد من ذلك ما ذهب إليه (كمال صليبي)، فطرحنا يختلف عنه كل الاختلاف، فالذي نقصده أن علاقته بالاسم أو تغيره في فترة من الفترات له دلالاتٌ خاصة في الفكر الإنسانيّ القديم حيث "إن للأسماء والأعلام في الحضارات القديمة دلالة وفحوى، ليس لهما ما يوازيهما في عصرنا الحديث، فالاسم كان يعد ممثلا لجوهر صاحبه"[4] أي : إن الاسم له ارتباط ليس بصاحبه فقط كشخص؛ بل إن ارتباطه بجوهره يفوق مظهره، و"إن بعض الشخصيات كانت تغير أسماءها عقب مرورها بتجربة مهمة، إبرام بعد عقد العهد مع الرب، يصبح إبراهيم، ويعقوب، بعد مصارعة الرب يصبح إسرائيل"[5].

وهنا نقف أمام جدلية الأسماء (فإبراهيم التكوينيّ) هو نفسه (إبرام التكوينيّ) في كل الوجوه التي يتحدث عنها (كمال صليبي) مادام قوله مجرد تخمين ، وإن دلل على نظريته هذه بأسماء موجودة

---

[1]- صليبي، كمال : **خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل**، ص 93.

[2]- عناية، عز الدين: **الاستهواد العربي في مقاربة التراث العبريّ**، ص 176

[3]- انظر بخصوص هذا ما جاء به عز الدين عناية في المرجع نفسه ص 64-80 عندما تحدث عن مدارس قراءة اليهودية عند العرب قائلا : "ليس الفكر العربيّ موحد المنهج والرؤى في قراءة التوراة والتراث العبرىّ" وقد حدد الأدبيات الحديثة في المسألة ببروز تيارين هما التيار الدعوىّ والتيار النقدي ومن المعلوم أن لكل تيار خصوصيته.

[4]- المسيري، عبد الوهاب : **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، رؤية نقدية**، القاهرة: منشورات مركز الدراسات السياسية الإستراتيجية بالأهرام، ط1، 1975، ص 75

[5]- نفسه، ص 75

في جزيرة العرب، فما نريد بيانه ما يشكله هذا الاسم في ذهنية اليهوديّ قديما وحديثا، وما يعني له اسم (إبراهيم) في ذاكرته المرتبطة بالتوراة بعيداً عن أي تصور آخر.

إن طرح مسألة الذاكرة اليهودية والارتباط التوراتيّ يجعلنا أمام مجموعة من الارتباطات منها ما يتعلق بالتوراة بصفتها معتقدا متكاملا، ومنها ما يتعلق بشخصياتها ، ومنها ما يتعلق بالأماكن المذكورة فيها، وتعتبر الشخصيات والأماكن أشياء جزئية في المعتقد، ولكنها تحمل مضامين ذات أبعاد مادية صرفة، وهذا مكمن التحوير الذي حوّل التصورات و القيم و المفاهيم من كونها روحية وإنسانية إلى مجرد تصورات وقيم ومفاهيم ذات علاقة نفعية.

إن (إبراهيم التكوينيّ) شخصية جدلية في السياق اليهوديّ، ويعد رمزا يُقتدى به، و يشكل إلهاما روحيا متبوعا من قبل اليهوديّ بفعل واقعيّ (سلوكيّ) وفق آلية الارتباط بين الشخصية المقدسة و المؤمن بالنص.

الوجود الروحيّ :

مادام (إبراهيم) يشكل إلهاما روحيا وسلوكيا لليهود يجب أن نقف على نقطة بروزه في سفر التكوين باعتباره أبا روحيا ، ففي الإصحاح السابع عشر نقرأ "ولما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لإبرام وقال له : أنا الله القدير سر أمامي، وكن كاملا، فأجعل عهدي بيني وبينك"[1].

هذا يبين بأن نبوءته كانت عند عمر يناهز تسعا وتسعين سنة، وما قبل هذا العمر لا دليل في النص على أن إبراهيم نبيّ؛ بل كان الحديث عنه وكأنه **رب عائلة ويملك من العبيد والأنعام الشيء الكثير**، مع أن الإصحاحات الثاني عشر والثالث عشر والخامس عشر جاءت على ذكر (العهد الإبراهيميّ) من خلال تعهد الإله بإعطائه الأرض هو ونَسْله من بعده، ولكن سياقها لم يكن مثل هذا السياق **"سر أمامي وكن كاملاً"**، فهذا يوضح بأنه لم يكن كاملا قبل هذا العهد، وقبل هذا العمر، فالنص التوراتيّ غيّب طفولة (إبراهيم التكوينيّ) بشكل قاطع، ولم تبدأ سيرته إلا في زمن شيخوخته، وهو في سن (الخامسة والسبعين) عندما قطع الإله معه عهد الأرض والنسل[2].

إن كلمة **"سر أمامي وكن كاملا"** يقول بشأنها صاحب كتاب (إبراهيم وأبناء عهده مع الله) " يجب على إبراهيم من الآن فصاعداً أن يعيش دوماً أمام الله وفي حضرته، أي على علاقة دائمة بكُلّي

[1]- سفر التكوين: الإصحاح السابع عشر، 1-2
[2]- سفر التكوين: الإصحاح الثاني عشر، 4

القـــدرة وبإرادتـــه، وذلـــك بطريقـــة كاملـــة أي كاملـــة العدالـــة"[1]، و(إبـــراهيم التكـــوينيّ) في هذه السن(تسع وتسعون سنة) أصبح نبيا بصريح النص، و قبل هذا العمر كان رجلا عاديا.

إن مُدوّن النص التوراتيّ قد مر بحياة (إبراهيم التكوينيّ) مرورا سريعاً، فكانت سيرته ضئيلة في السياق العام للنص، ولا تبرح سفر التكوين، ولكنها تعد سيرة محكمة في إبراز بعض المعالم وإخفاء بعضها الآخر.

إن القطيعة بين (إبراهيم) وطفولته قد وُثّقت بذكر عمره(شيخ مسن) في أكثر من موضع مما يدلل على أن سيرته التكوينية قد خُلقت خلقاً من قبل المدونين ، فسفر التكوين الراوي لسيرته لـــم يتحـــدث عـــن مســـألة إيمانـــه، ولا عـــن مجادلـــة قومـــه، ولا عـــن دعوتـــه لأبيـــه، فجـــزء كبيـــر مـــن حياتـــه نشـــأته وتربيتـــه الأولـــى التـــي يمكـــن أن نســـتخلص منهـــا معالمـــه الروحيـــة الإنســـانية قـــد غُيبـــت تمامـــا، وهـــذا مـــا جعـــل العقـــاد يقـــول " هنـــاك محـــل للـــتحفظ الشـــديد فـــي قبـــول الروايـــة الإســـرائيلية ؛ لأنهـــا امتزجـــت بسياسة الملك والتنازع عليه، وكل دعوى المملكة الإسرائيلية في الزمن القديم قائمة على الأسلوب الذي كتبت به سيرة الخليل في أيامه الأخيرة على التخصيص"[2].

هـــذا يبـــين بـــأن الســـيرة التكوينيـــة (لإبـــراهيم) ســـيرة مزعومـــة جـــاء بهـــا المـــدون، لإثبات حقه الشرعيّ في المكان بصفته مكانا موعوداً في التوراة ، ولهذا ترك المدون طفولة (إبراهيم) وغض عنها الطرف، وهي محاولة منه لتأسيس قاعدة تكون منطلقا لبناء مؤسساته السياسية في البقعة الموعودة من خلال منظور أرض قد وهبت من الإله إلى (إبراهيم الأب) "فأخذت إبراهيم أباكم من عبر النهر وسرت به في كل أرض كنعان"[3]، هذا تأكيد على علاقة الأبوة وعلاقـــة الأرض، الأمـــر يوضـــح أن التصـــور اليهـــوديّ لا يخـــرج عـــن هـــذا الإطـــار، وكان (إسرائيل فنكلشتاين) ومن معه محقين عندما قالوا : بأن الكتاب المقدس اليهوديّ كان نتاج آمال و مخاوف وطموحات مملكة يهوذا، وبأنه ظهر للوجود انطلاقا من مجموعة من الظروف قد حدد من بينها الظروف السياسية[4]. كما أنه يضعنا أمام مفهوم (السيادة والشخصية) في قوله: "إن اختيار إبراهيم ذا الارتباط الوثيق بمنطقة حبرون "الخليل" المدينة الملكية الأولى لمملكة يهوذا،

---

[1]- لاوت، رينهارد: **إبراهيم وأبناء عهد مع الله**، ص 116

[2]- العقاد، عباس محمود: **إبراهيم أبو الأنبياء**، بيروت : المكتبة العصرية، ط2، 2006، ص15

[3]- سفر يشوع: الإصحاح الرابع والعشرون، 3

[4]- فنكلشتاين، إسرائيل وسيلبرمان، نيل آشر : **التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها**، دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، ط1 ، 2005 ،[ترجمة سعد سليم] ص 51- 376

وبأورشليم "القدس" (...) إنما كان الهدف منه التأكيد على سيادة وأولية مملكة يهوذا"[1]، لعل هذا فيه تبرير غياب طفولة إبراهيم في سفر التكوين، وفيه أيضا بيانٌ بأن سيرته كانت محكمة في إبراز المنافع السياسية والإقليمية؛ لإثبات الهوية العرقية وكذلك المكانية، وبأن التحوير الذي حدث لإبراهيم في هذا النص تحوير مدفوع بغايات المُدوّن الطامع في استقلال وبروز الذات.

عودة المفقود التكوينيّ:

ما هو مفقود من سيرة (إبراهيم) في سفر التكوين نجده في مخطوطات البحر الميت[2]، وكذلك في النص الهجادي من التلمود[3]، ففي سفر " رؤيا إبراهام" من أسفار البحر الميت الذي يروي قصة (إبراهام) مع أبيه ومجادلته له نقرأ " وقلت فكيف يمكن إذن لما خلقه أبى من أصنام مصنوعة أن يساعده ؟ أم أنه أخضع الجسم لروحه، والروح لذهنه، وذهنه للجنون والجهل"[4] هذا ما جاء على لسان (إبراهام) ، وهو يختلف في مضمونه عما جاء في سفر التكوين، فما سكت عنه وجدناه في المخطوطات التي تقول: "قال إبرام لأبيه تراخ : أبي : فأجاب هذا الأخير : ها أنا يا ابني، فقال إبرام : أية مساعدة، وأية فائدة لنا من هذه الأصنام التي تعبدها، وتسجد أمامها، ليس ثمة فيها أي نفس : إنها صور صماء، وضلال للروح؛ لا تعبدها؛ بل اعبد إله السماء الذي ينزل المطر والندى على الأرض، والذي ينتج كل شيء على الأرض، والذي خلق كل شيء بكلمته والذي منه تصدر كل حياة لماذا تعبدون هذه الأشياء التي ليس لها نفس إنها مصنوعة بأيدي الإنسان"[5]

---

[1]- نفسه، ص 75

[2] - تعد المخطوطات جديدة العهد من حيث الظهور، فقد تم اكتشافها عام1947 في كهوف وادي قمران ،التي تبعد حوالي 13 كم عن مدينة أريحا ، وأعلن يسنكك E.sukenik ،وهو أستاذ في جامعة القدس العبرية عن اكتشاف المخطوطات عام 1948، وظل الإعلان محط الشكوك إلى أن استطاع ضابط بلجيكي تابع للأمم المتحدة في عام1949 تحديد موقع المغاور التي تم العثور فيها علي المخطوطات، وبعد ذلك توالت في الظهور. للمزيد انظر **مخطوطات قمران، البحر الميت**: دمشق: دار الطليعة، 1998 ،[تحقيق أندريه دوبوبرا وآخرين، ترجمة موسى الخوري] ص23 وما يليها ، ومع هذا يجب التنبيه إلى ضرورة التحري التاريخيّ عن مصداقيتها وأسباب ظهورها في هذه الفترة ، ودراسة ما فيها من تشابه مع الإرث الإسلاميّ نظرا لوجود قطيعة بينها وبين التوراة .

[3]- التلمود في أساسه أقوال شخصية يزعم اليهود أن (النبي موسى) قد استقبلها بجانب التوراة، ويعتقد في الوسط الحاخاميّ أن تلقين (النبي موسى) لهذا المعتقد التلموديّ من قبل الإله كان سببا في تأخره على الجبل،وقد وضع التلمود في مدونة مكتوبة تحمل هذا الاسم بين القرنين الثاني والخامس ق.م،وكان ذلك في أوساط اليهود البابليين والفلسطينيين، و ينقسم التلمود وفق المحتوى إلى فرعين هما الهجادة والهلخاه أما وفق الشكل فينقسم إلى المدراش والمشنا وأكثر ما تسجله الهجادة هو القصص والأمثلة الإيضاحية، وأجزاء من السير والتاريخ والطب والفلك والتنجيم والتصوف والحث على العمل بالشريعة، و هي مليئة بالأساطير والحوادث القضائية.

[4]- **مخطوطات قمران، البحر الميت** : الجزء الثالث، ص 571

[5]- نفسه ، الجزء الثاني، ص 12

إذن تتضمن مخطوطات البحر الميت المفقود في سفر التكوين، وهذا يمكن أن يفسر بما يلي:

- التأكيد على ضياع النص الأصليّ للتوراة وتحريف النص الحاليّ لعدم وجود نسخ متطابقة.
- احتمال أن تكون الإضافات من مصادر دينية متأخرة ، وليس بالضرورة أن يكون ذلك احتفاظا بأصول توراتية.
- إبراز حقيقة إبراهيم وتاريخيته أمام من أنكر وجوده.

أما بخصوص سيرته في **النص الهجاديّ التلموديّ**، فهو لم يهمل ميلاده، ولا طفولته إذ فيه مكان لجداله مع النمرود، وكيف ألقى به في المحرقة وخرج منها سالما، فقد سطر فيه "فخرج إبراهيم من النيران ومثل أمام الملك، وتحدث الملك قائلاً : كيف لم تحرقك النيران ؟ فأجاب إبراهيم : إن رب السموات والأرض الذي أثق به والذي يمسك كل الأشياء أنقذني من النيران التي ألقيتني فيها"[1].

أليس في هذا السرد اختلاف عما جاء في سفر التكوين وتشابه مع ما ورد في النصوص الدينية المتأخرة ، فهنا (إبراهيم) تُذكر علاقته الإيمانية برب السموات والأرض، ما يعني أن التلمود قد تابع ضبط الحياة الروحية (لإبراهيم) تحت شبكة فقهية تابعت الجزئيات والتفرعات، ففي بحثها عن سيرته لم تترك طفولته دون ذكر وكان ذلك بسرد دقيق[2]، حتى تكتمل شخصيته كشخصية قيادية (أبٌ روحيّ) من خلال إظهار ما حدث لها من مواجهات في محيطها المتمثل في عالم نمرود وجماعته الكافرة[3]، وهذا الطرح الهجاديّ يضع سفر التكوين في محك التساؤلات؟ لكونه اجتث جزءا مهما من حياة إبراهيم(طفولته ونبوءته) فمن دوّن حياته في سفر التكوين استقصى منها تاريخيته، ولم يلتزم بتدوين سيرته ضمن التحولات الاجتماعية والسياسية والدينية في عصر (إبراهيم النبيّ).

طبيعة الخروج الإبراهيميّ:

بعد هذه المطالعة لمجريات النص التكوينيّ، وكيف كان متناقضا مع النص التلموديّ، وما جاء ذكره في مخطوطات البحر الميت، نأتي إلى ما أشرنا إليه في قولنا بأن سفر التكوين المتحدث عن هجرة (إبراهيم) قد تعمد إخفاء أشياء وإظهار أخرى من بينها هجرته من أور كلدان إلى بلاد كنعان،

[1]- جنزبرج، لويس : **قصص اليهود**، القاهرة: منشورات المجلس الأعلى للثقافة، ط1 ،2002 ، ص 196[ترجمة جمال رفاعي].
[2]- انظر نفسه، ص 176- 197
[3]- نفسه، ص 181

وقد جاء في سفر التكوين "وأخذ تارح إبرام ابنه، ولوطا بن هاران، ابن ابنه، وسارای كنته امرأة إبرام ابنه، فخرجوا معا من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان. فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك وكانت أيام تارح مئتين وخمس سنين ومات تارح في حاران"[1].

يعتبر هذا الخروج هو الأول للأسرة من بلاد كلدان، ولم تأت التوراة على ذكر أسبابه ولماذا خرج (إبراهيم) مع أبيه؟ أما الخروج الثاني فكان بأمر سماوي موجه (لإبراهيم) "وقال الرب لإبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك من بيت أبيك إلى الأرض التي أريك"[2].

وهذا يعد فاتحة الكلام عن سيرة إبراهيم الانتقالية من مكان إلى آخر، ولكن النص لا يذكر أسباب الخروج وطبيعته، مع أن التوراة عودت من يقرأ أسفارها الإسهاب في التفاصيل والإطالة، وهذه المرة لم تعط أبعادا عقدية لسيرة (إبراهيم) بقدر ما أعطتها أبعادا مكانية وجودية.

على ما يبدو يتضمن الخروج الارتحاليّ المتحدث عنه في سفر التكوين طبيعة الخروج الرعويّ[3] الذي يقوم به البدو بأغنامهم صوب السهول الخضراء ومنابع المياه أكثر من تضمنه لأيّ طبيعة أخرى، وهذا ما يضع سفر التكوين في موضع النقد عندما أغفل حقيقة خروج (إبراهيم التكوينيّ)، وما يؤكد الطبيعة الرعوية لهذا الخروج ما جاء في الإصحاح نفسه عن توجه (إبراهيم التكوينيّ) إلى مصر طلبا للعيش "وحدث جوع في الأرض، فانحدر إبرام إلى مصر ليتغرب هناك، لأن الجوع في الأرض كان شديداً"[4].

وإذا ما جزمنا أن النص قد اعتمد في تدوينه على الذاكرة، فلا غرابة بكون سيرة (إبراهيم) قد تعرضت للزيادة والنقصان، بل إن المدون جعلها تحاكي عصره، وهذا ما يذهب إليه (رينهاردلاوت) قائلا: "إنما دونت من وجهة نظر إسرائيليّ (...) ودونت انطلاقاً من فرضياته المعطاة تاريخيا"[5].

على أنّ النص الإبراهيميّ لا يتجاوز سفر التكوين، وفي إصحاحات محدودة منه، لكنه نص غارق في متاهات النساخ الدالة على نفسيتهم المتعلقة بالوجود المادي النفعيّ، و بيان ذلك يكمن في إخفاء طبيعة انفصال (إبراهيم) عن عشيرته الوثنية وهجرته التوحيدية، وإظهار (إبراهيم) في صورة **السيد الإقطاعي صاحب العبيد والأنعام**، وما يؤيد هذا ما يروى على

---

[1]- سفر التكوين: الإصحاح الحادي عشر، 31- 32
[2]- سفر التكوين: الإصحاح الثاني عشر،1
[3]- انظر : داوود، أحمد:**العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود**، دمشق: دار المستقبل، ط1991،1، ص 97
4- سفر التكوين: الإصحاح الثاني عشر : 10
5- لاوت، رنيهارد: **إبراهيم وأبناء عهده مع الله**، ص10

لسان (إبراهيم) في مخطوطات قمران "وذهبت أنا، أبرام، مع قطعان فائقة العدد، وأيضا مع فضة وذهب، وصعدت مصر ولوط ابن أخي كان يرافقني. ولوط أيضا كسب قطعاناً كثيرة"[1] وهذا له مكان في سفر التكوين " وكان إبرام غنيا جداً في المواشي والفضة والذهب"[2]، ويستمر هذا السفر في وصف ثراء إبراهيم وابن أخيه قائلا "ولوط السائر مع إبرام كان له أيضا غنم وبقر وخيام، ولم تحتملها الأرض أن يسكنا معاً، إذ كانت أملاكهما كثيرة"[3].

التوراة تضع تصورا (لإبراهيم) بين مزدوجتين **"السيد الإقطاعي"** وإن كان قد خير ابن أخيه قائلا له " اعتزل عني. إن ذهبت شمالاً فأنا يمينا وإن يمينا فأنا شمالاً"[4]، فالتصور التوراتيّ لا يخرج به عن هذا الإطار ولا يخالف هذا المضمون.

أما عن طبيعة الخروج الإبراهيميّ في (سفر يهوديت) من الأسفار المحذوفة أبوكرافيا[5] Apocrapha، والذي يأتي فيه الحديث على لسان القائد (أخيور) قائد جيش عمون الذي يخبر (هولوفيرون) كبير قادة جيش ملك أشور عن اليهود قائلا: " هذا الشعب من نسل الكلدانيين، وقد أقاموا إقامة مؤقتة فيما بين النهرين؛ لأنهم لم يتبعوا آلهة آبائهم الذين كانوا في أرض كلدان، لأنهم تركوا طرق أجدادهم، وعبدوا الرب الذي في السماء الرب الذي يعرفونه، وهكذا رموهم من وجه آلهتهم فهربوا إلى بين النهرين، وأقاموا هناك أياماً كثيرة. وبعدها أمرهم ربهم أن يغادروا المكان [الذين][6] أقاموا فيه إقامة مؤقتة، وأن يذهبوا إلى أرض الكنعانيين حيث سكنوا، وزاد مالهم من الذهب الذهب والفضة والمواشي"[7]

هذا النص يخبر عن بني إسرائيل، ولم يأت على ذكر اسم (إبراهيم)، ولكن نفهم منه طبيعة خروجه مع عشيرته على اعتبار أنه أب (إسحاق) جد بني إسرائيل، ومثل هذا التفصيل غائب تماما في سفر التكوين الذي جعل منه خروج بدون معنى روحيّ.

---

[1]- **مخطوطات قمران، البحر الميت**: الجزء الأول، ص 502

[2]- سفر التكوين: الإصحاح الثالث عشر، 2

[3]- سفر التكوين: الإصحاح الثالث عشر، 5

[4]- سفر التكوين: الإصحاح الثالث عشر، 9

[5]- أبو كرافيا باليونانية تطلق على الأسفار السرية أو المخفية،وقد أطلقها القديس إيرونيموس مترجم النص اللاتينيّ المعروف بالفولغاتا أي - الشائعة أو الشعبية - وهي المعتمدة في الكنيسة الكاثوليكية، فقد أطلق هذه التسمية في أثناء الترجمة على الأسفار التوراتية الواردة في الترجمة السبعينية وغير الواردة فيما لديه من النصوص العبرية والآرامية فحسبها القديس أسفارا محظورة التداول على العامة بعد الترجمة السبعينية، الجثام، فضل : **الحضور اليمانيّ في تاريخ الشرق الأدنى** ، دمشق : منشورات علاء الدين ، ط1 ،1999 ،ص 12-13 وكذلك للمزيد:

- ظاظا، حسن : **الفكر الدينيّ اليهوديّ أطواره ومذاهبه**، دمشق: دار القلم، بيروت :الدار الشامية،ط4 ،1999 ، ص 62-65

- وافي، على عبد الواحد : **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام**، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر، ط3 ، 1983 ، ص 23

[6]- السياق صوابه [الذي]

[7]- زكار، سهيل : **المحذوف من التوراة كاملاً**، دمشق، دار قتيبة، ط1، 2006، ص291 -292

العهد، التوحيد، النسل، الانعزال:

كما بينا في الحديث أن (إبراهيم التكوينيّ) قد خرج من موطنه الأصليّ إلى أرض كنعان بأمر إلهيّ "وقال الرب لإبرام : اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك"[1] هذه بداية واضحة لمشوار (إبراهيم التكوينيّ) مع الإله الذي حدد له المكان (موطن الهجرة) "لِنَسْلك أُعطي هذه الأرض "[2]، وكان ذلك عند وصول (إبراهيم) ومن معه إلى منطقة شكيم (نابلس الحالية)، وفي هذا الموضع قد بنى (إبراهيم) مذبحا للإله الذي كلمه في عين المكان، وحدد أماكن انتقاله في الأرض الموعودة، وهذا الأمر كله مدون في الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين، أما في الإصحاح الخامس عشر فيصدر الإله قراره المفرح (لإبراهيم) بخصوص الوارث الحقيقيّ له بدلا من (أليعازر الدمشقي)[3] خادمه كما كان يظن (إبراهيم التكوينيّ) "لا يرثك هذا، بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك"[4]، ويستمر السفر في بيان عدد نسله المقبل كما يخبره الإله بذلك، الذي سيكون بعدد النجوم "انظر إلى السماء وعد النجوم إن استطعت أن تعدها وقال له : هكذا يكون نسلك فآمن بالرب فحسبه له برا"[5].

أما في سن (تسع وتسعين) كان في ظهور الإله له تأكيد آخر على العهد بينهما "وتكلم الله معه قائلا : أما أنا فهو ذا عهدي معك، وتكون أبا لجمهور من الأمم، فلا يُدعى اسمك بعد إبرام بل يكون اسمك إبراهيم"[6] فهذا العهد جُعل له شرطان أساسيان هما: **تغير الاسم** بحيث تعهد الرب لإبرام بأنه سيجعله أمة عظيمة، ثم يضع له شرطا آخر **الختان** الذي يعتبر إشارة إلى المثول والالتزام بالعهد "هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم"[7].

وهذا العهد الإلهيّ امتداد لعهد سابق قد أبرم مع (نوح) بعد الطوفان "وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلا: وها أنا ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم ومع كل ذوات الأنفس الحية التي معكم"[8] وجوهر هذا العهد مع (نوح) عهدٌ يشمل البشرية القادمة من صلب من نجا مع نوح بصفتهم فئة مؤمنة، بل شمل

---

[1]- سفر التكوين : الإصحاح الثاني عشر، 1-2

[2]- انظر: سفر التكوين: الإصحاح الثاني عشر وما يليه.

[3] - أليعازر الدمشقي خادم إبراهيم، وتروي الهجادة بأن النمرود هو الذي وهبه لإبراهيم بعد معجزة نجاته من منجنيقه والنيران، وعندما أيقن النمرود بمعجزاته الربانية أذن له بالانصراف، ومنحه الشيء الكثير من الهدايا التي اشتملت على عبدين أحدهما أوجي والآخر هو أليعازر، انظر : جنزبرج، لويس: **قصص اليهود**، ص 187

[4]- سفر التكوين: الإصحاح الخامس عشر، 4

[5]- سفر التكوين: الإصحاح الخامس عشر، 5-6

[6]- سفر التكوين: الإصحاح السابع عشر، 4-5

[7]- سفر التكوين: الإصحاح السابع عشر، 10-11

[8]- سفر التكوين: الإصحاح التاسع، 8

الأنعام بصريح النص، أي : أنه الحفاظ على الحياة(للإنسان والأنعام) وهو يختلف عن العهد مع (إبراهيم التكوينيّ) المتمثل في نسله فقط، فالعهد مع (نوح) يشتمل العهد الإبراهيميّ باعتبار (إبراهيم) امتداداً لنسل (نوح) الخارج من الفُلك، في حين عهد (إبراهيم) كان محصورا في فريق معين، وقد فسر بأنه عهد تأسيسيّ لجماعة محددة ستظل إلى أعلى درجة من التطور الروحيّ والأخلاقيّ[1].

ويجب أن نعي بأن الميثاق الإلهيّ مختلف عن أي ميثاق يتصوره الإنسان؛ لأن الإله طرف فيه، فلا يمكن تصور خيانته بصورة سهلة ، ومن هذا الباب لا ينفصم بسهولة، لكونه **عهد الإيمان في أساسه**، وقد وصفه (رينهاردلاوت) من وجهة نظر مسيحية بأنه عهد الله مع أبنائه بالتبني الحر غير المؤسس طبيعيا[2]، ويقصد بذلك بشرى (إبراهيم) بميلاد (إسحاق) في سن اليأس، وبشرى (مريم) بميلاد (عيسى) من دون أب فكلاهما في نظره ميلاد روحيّ(فوق طبيعيّ) وسيلعب هذا العهد دوره في تاريخ اليهود، حيث يتقدم فيه (إسحاق) على (إسماعيل) و (يعقوب) على (عيسو) (**الانتقاء والاستبعاد السلاليّ**) والذي يتوج بعهد المسيح الذي لم يتفهمه اليهود، ولم يقبل في وسطهم ، وهذه وجهة نظر أهل الكتاب في طبيعة العهد المذكور في سفر التكوين، لأنهم يعتقدون به ، ويعتبرون الأناجيل امتداداً طبيعياً له ؛ بل إن "كتاب العهد العتيق كتابٌ مسيحيّ شكلا ومضمونا"[3].

أما عن نظرتنا لطبيعة هذا العهد ، فإنها تأخذ طابعاً مغايراً لما عليه في الأصل التوراتيّ، فهجرة إبراهيم المسكوت عن طبيعتها في سفر التكوين ليست هجرة جماعة عرقية كما صورتها التوراة وفسرها الفكر المسيحيّ؛ بل **هجرة توحيدية**؛ لأن (إبراهيم) قبل كونه أباً لجماعة عرقية كان يؤسس لشيء أثمن من ذلك هو **بناء المعتقد الدينيّ للإنسان على درجة عالية من التجريد والوحدانية**، والسؤال الذي يطرح هنا كيف تحول العهد التوحيديّ إلى عهد لا يمت للتوحيد بصلة؟ وأصبح ذا صلة بالنسل والأرض أكثر من أي صلة أخرى، وكيف تغير تصور العهد ؟ إن للمُغَيّب في التوراة علاقة بهذا التحول الرهيب في سيرة (إبراهيم) التوحيدية، فإذا حاولنا التأكيد في قولنا بهجرته لنمط العبادة السائد عند قومه، فهذا يعني أنها أولى الخطوات تجاه تأسيس نظام دينيّ جديد في طابع مغاير للنمط السائد عند قومه، وهذا النظام هو الذي أفرز الجماعة الموحدة عن الجماعة المشركة، وإن حُوّر فيما بعد عند اليهود من النمط التوحيديّ إلى النمط العرقيّ، وقد امتاز

---

[1]- انظر : لاوت، رينهارد: **إبراهيم وأبناء عهده مع الله**، ص 72

[2]- نفسه، ص 78

[3] - شحلان ، أحمد : **التوراة والشرعية الفلسطينية** ، الدار البيضاء : مطبعة النجاح الجديدة ، كتاب الجيب 41 من ضمن سلسلة منشورات منشورات الزمن ،2003، ص69

اليهود بنوع من العزلة للحفاظ على دينهم وذاتهم في الوقت نفسه[1] باعتبارهم جزءاً من (إبراهيم)، ويجب أن يفهم الانعزال اليهوديّ بأنه انعزال عقائديّ ينتمي لانعزال (إبراهيم) في شكله ومضمونه، وإن تحول إلى انعزال يحمل من المضامين ما يحمل، فبدلاً من أن يفهم هذا النظام عند اليهود وغيرهم في زمن بعيد عن (إبراهيم) و(موسى) وفق هذه الرؤية فقد فهم بكونه انغلاقا على الآخر وفق قراءة جديدة للنص الدينيّ لا سيما ما يتعلق بالعهد الإلهيّ.

إن استحضار عزلة إبراهيم في الفكر اليهوديّ، يرافقها دون انقطاع استحضار العهد الإلهيّ، وعليه يمكن لليهوديّ أن يفسر مراحل الشتات[2] التي مر بها بمرحلة غربة (إبراهيم) عن أهله وموطنه الأصلي، وهذا الحضور والتفسير قد أخذ أبعاده الميتافيزيقية في المخيلة اليهودية، **الأمر الذي سبب لهم نوعاً من النرجسية التي ساقت حقيقة العهد والانعزال عند (إبراهيم) في اتجاهات عرقية حاول اليهود فيها إيجاد الصلة العرقية بينهم وبين (إبراهيم) أكثر من إيجاد الصلة الروحية بينهم وبين الآباء بشكل عام، وبينهم وبين (إبراهيم) بشكل خاص**، وقياساً على ذلك فقد تفسر غربة (يوسف) عن أبيه (يعقوب)[3]، بمثل هذه التفاسير، عندما تقوم المخيلة اليهودية باستحضار ماضي الآباء المدون في التوراة، لأجل الترويح عن نفسها، وكذلك لتعليل ما وقعت فيه اليهودية عبر الزمن من ظلم الآخر المتمثل في شتاتها عبر مراحل زمنية مختلفة، وهذا سيأخذ مناحي روحانية في الفكر (القبالي) الصوفي.

وهذا الاستحضار لسيرة (إبراهيم التكوينيّ)، وكذلك غربة (يوسف) وظلم إخوته، وعطفه عليهم فيما بعد، فيه نوع من الانقياد خلف الآباء وسيرتهم في التوراة، وهذا يذكرنا بما يقوله (برجسون) Bergson عن العباقرة الذين وسعوا حدود العقل، الذين وهبوا للآخرين الشعور بالانتماء مما جعل لديهم نوعا من الخلق الجديد " فإننا حين نستحضر في الذهن رجال الخير هؤلاء، حين نستمع إليهم وهم يتكلمون، أو ننظر إليهم وهم يفعلون، نشعر أنهم يبثون فينا حمياهم، ويجروننا في حركتهم، وليس هذا من القهر ملطفا بعض الشيء وإنما هو جذب يكاد لا يقاوم"[4] وهذا الرأي ينطبق على اليهود عندما يستحضرون الآباء في ذهنهم ويحاولون محاكاتهم وتقمص حركاتهم، وهنا يقع اليهوديّ

---

[1]- انظر : شلبي، أحمد : **مقارنة الأديان، اليهودية**، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1988 ، ص 49

[2]- مصطلح الشتات "المصطلح يستخدم أحيانا للإشارة إلى المنفى أو الدياسبور"، وكلمة الدياسبور كلمة يونانية تعني الشتات أو الانتشار وهي تعني في الكتابات اليهودية والصهيونية وجود اليهوديّ خارج وطنه رغم أنفه. انظر في ذلك : المسيري، عبد الوهاب: **موسوعة اليهود اليهودية والصهيونية**، القاهرة: دار الشروق ط2، 2005، [المجلد الأول]، ص 71، ويمكن معرفة المراحل التي مر بها اليهود في هذا الشتات والتي يطلق عليها عبد الوهاب المسيري في موسوعته "هجرات وانتشار الجماعات اليهودية" ص 73-82

[3]- يجب أن نبين بأن عزلة يوسف عن أبيه يعقوب عزلة قد فرضها إخوته عليه وعلى يعقوب بدافع الحسد والبغض بين الإخوة، أما عزلة إبراهيم، فهي عزلة فرضتها أنماط العبادة، وهي في أساسها إجبارية لنجاة الدين الجديد (التوحيد) فكلاهما يعتبر في نظر اليهوديّ منفى قسريا وقع فيه الآباء البطاركة.

[4]- برجسون، هنري : **منبعا الأخلاق والدين**، القاهرة: دار الملايين، ط2، 1984، [تعريب سامي الدروبي وعبد الله عبد الدائم]، ص 115

في محاولة فرز نفسه عن الآخر بشكل تلقائيّ، حيث نظر لنفسه بوصفه منتمياً للعهد مع الآباء (روحياً وعرقياً) ونظر للآخر على أنه لا ينتمي إلى هذا العهد، وهذا ما ولد في ذهنيتهم فكرة الاصطفاء،(الشعب المختار)[1] وكذلك ساهم في تكون الفكر (القبالي) الصوفيّ الساعي إلى الاتحاد مع الذات العلية، ولقد تطورت فكرة الاصطفاء عندهم وظهرت بأقصى حدتها في عصر المعبد الثاني[2] (ما بعد الأسر البابلي) وبذلك سارت بهم هذه النزعة إلى أبعد من كونهم أصحاب رسالة توحيدية، وهنا مكمن الصيغ الصوفية في الفكر التوراتيّ، فمسألتا "الإيمان بالوعد الإلهيّ، وفكرة الشعب الذي اختاره الرب واصطفاه، ظلتا تؤلفان جوهراً إيمانيا لليهوديّ، ومنبع طاقاته البناءة والطافحة بالحيوية والنشاط وظلتا تعزلان اليهودي على الرغم من كل مظاهر اندماجه في البيئة التي يعيش فيها"[3].

خلاصة القول

نصل إلى أن طبيعة الحديث التوراتيّ عن سيرة (إبراهيم) ذات أصول مادية في بنيتها، الأمر الذي يوحي لنا بغايات كامنة في بنية النص ، أهمها امتلاك الأرض وانعزال النسل، وهذه تبدو حقائق قد وقفنا عليها في هذا البحث، ومن ثم يمكننا تفسير جميع التحركات التي يقوم بها اليهود بأنها منتمية إلى طبيعة النص التوراتيّ الذي تم تحويره والذهاب به منذ تدوينه بعد السبي البابلي تجاه مطالب دنيوية، ومما يدلل لنا على ذلك هو قيام دولة اليهود في رقعة جغرافية محددة بموجب ميثاق توراتي بين (إبراهيم التكويني) و(الإله التوراتي)، وفي هذه الدولة نجد تجديدا للميثاق المدون في سفر التكوين "وقال الرب لإبرام، بعد اعتزال لوط عنه ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، لأن جميع الأرض التي أنت تري لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد"[4]، ونقرأ في هذا السفر كذلك: "لنسلك أعطي هذه الأرض...الخ"[5]، فمن خلال سيرة (إبراهيم التكويني) التي لا تبرح في وجودها الوجود المادي النفعي الذي لا يضع أي اعتبار للقيم الروحية، يتبين لنا حقيقة النص التوراتي وطبيعته المادية، كما أننا نستخلص منها غايات الذهنية اليهودي التي سطرت هذه السيرة بكيفية تخدم مآربها الآنية والمستقبلية، ونتعرف منها على نوعية التصور التوراتي بشكل عام الذي ينسب لبعض الأنبياء أو لبعض من نسميهم آباء لليهود، أعمالا تتنافي مع وضعهم الديني والاجتماعي، بل تتعارض مع الخلق الكريم في ذاته، أي أن العمق

---

[1] - "إن مصطلح الشعب المختار، ترجمة للعبارة العبرية هعهم هنبحار، وهناك معنى آخر للاختيار، في عبارة مثل: أنا بحرتانون والتي تعني اخترتنا أنت، وعم سجولاه، أي الشعب الخلاصة، أو عم نحلاه، أي:شعب الإرث"، مصالحة ، عمر أمين : **اليهودية ديانة توحيدية أم شعب مختار؟**، عمان، دار الجليل للنشر،ط1 ،2005 ،ص30 .

[2]- انظر : توكاريف، أ، سيرغى : **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، دمشق: الأهلي للطباعة والنشر، ط1، 1998 [ترجمة احمد .م فاضل] ص 384.

[3]- كنعان، جورجي : **محمد واليهودية**، بيروت: بيسان للنشر والتوزيع، ط1، 1999، ص 18

[4] - سفر التكوين : الإصحاح الثالث عشر، 14 -15

[5] - سفر التكوين : الإصحاح الخامس عشر، 18 -21

الروحي للنص التوراتي مفقود تماما في كل إصحاحاته التي بنيت بطريقة تتناقض مع الأهداف السامية للأديان السماوية، وتضع عملية التسامح الديني بين الأديان في منزلق خطير بسبب مناهضتها لكل التصورات الدينية التي تنادي بتحقيق العدل والحب والوئام.

المراجع

- أسمن، يان: **الذاكرة الحضارية**، القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة، ط1 ،2003 ،[ترجمة وتعليق عبد الحليم عبد الغنيّ رجب] .
- إلياد ،ميرسيا: **تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية**، دمشق : دار دمشق للطباعة والنشر، ط1، 1986، الجزء الأول، [ترجمة عبد الهادي عباس] .
- البار، محمد علي: **الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم**، دمشق : دار القلم، بيروت : الدار الشامية، ط1، 1990.
- برجسون، هنري : **منبعا الأخلاق والدين**، القاهرة: دار الملايين، ط2، 1984، [تعريب سامي الدروبي وعبد الله عبد الدائم].
- توكاريف، أ، سيرغى : **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، دمشق: الأهلي للطباعة والنشر، ط1، 1998 [ترجمة احمد .م فاضل].
- الجثام، فضل : **الحضور اليمانيّ في تاريخ الشرق الأدنى** ، دمشق : منشورات علاء الدين ، ط1 ،1999 .
- جنزبرج، لويس : **قصص اليهود**، القاهرة: منشورات المجلس الأعلى للثقافة، ط1 ،2002 ، ص 196[ترجمة جمال رفاعي].
- داوود، أحمد: **العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود**، دمشق: دار المستقبل، ط1991،1.
- زكار، سهيل : **المحذوف من التوراة كاملاً**، دمشق، دار قتيبة، ط1، 2006.
- شحلان ، أحمد : **التوراة والشرعية الفلسطينية** ، الدار البيضاء : مطبعة النجاح الجديدة ، كتاب الجيب 41 من ضمن سلسلة منشورات الزمن ،2003.
- شلبي، أحمد : **مقارنة الأديان، اليهودية**، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1988 .
- صليبي، كمال : **خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل**، دمشق: دار الساقي، 1988.
- ظاظا، حسن : **الفكر الدينيّ اليهوديّ أطواره ومذاهبه**، دمشق: دار القلم، بيروت :الدار الشامية،ط4 ،1999 .
- العقاد، عباس محمود: **إبراهيم أبو الأنبياء**، بيروت : المكتبة العصرية، ط2، 2006.
- عناية ، عز الدين : **الاستهواد العربيّ في مقاربة التراث العبري**،كولونيا : منشورات الجمل، ط1 ،2006 .

- فنكلشتاين، إسرائيل وسيلبرمان، نيل آشر : **التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها،** دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، ط1 ، 2005 ،[ترجمة سعد سليم] .
- الكتاب المقدس، تصدره دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ط3 ،2005 .
- كنعان، جورجي : **محمد واليهودية،** بيروت: بيسان للنشر والتوزيع، ط1 1999 .
- لاوت، رينهارد: **إبراهيم وأبناء عهده مع الله** ، دمشق :خطوات للنشر والتوزيع، ط1، 2006،[ترجمة غانم هنا].
- **مخطوطات قمران، البحر الميت**: دمشق: دار الطليعة، 1998 ،[تحقيق أندريه دوبوبرا وآخرين، ترجمة موسى الخوري].
- المسيري، عبد الوهاب : **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، رؤية نقدية،** القاهرة: منشورات مركز الدراسات السياسية الإستراتيجية بالأهرام، ط1، 1975.
- المسيري، عبد الوهاب: **موسوعة اليهود اليهودية والصهيونية،** القاهرة: دار الشروق ط2، 2005، [المجلد الأول].
- مصالحة ، عمر أمين : **اليهودية ديانة توحيدية أم شعب مختار؟،** عمان، دار الجليل للنشر،ط1 ،2005.
- نظمي، عزيز: **جدلية التاريخ والحضارة،** الاسكندرية : مؤسسة الشباب الجامعية ، ط1، 1996.
- وافي، على عبد الواحد : **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام،** القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر، ط3 ، 1983 .